الباب الأول

المفهوم والمبادئ

تعريف الهوية وسياساتها ومكوناتها

الهَوِيَّةُ البئرُ البعيدةُ القعر وهُوِيَّةُ الْإِنْسَانِ حَقِيقَتُهُ الْمُطْلَقَةُ وَصِفَاتُهُ الْجَوْهَرِيَّةُ والهوية تعني جوهر الشيء وحقيقته التى يتميز بها عن غيره، وعلم النفس اهتم بالجانب الإجتماعي للهوية وكانت هناك محاولات عديدة لتعريف الهوية خاصة من خلال دراسة مفاهيم الذات الإجتماعية والشخصية الإجتماعية وغيرها،ويؤكد وليم جيمس أن الهوية ظاهرة نفسية إجتماعية تقع عند نقطة التقاء معرفة الذات من طرف الإنسان نفسه ومن طرف الآخرين والهوية لا تنفصل عن الثقافة التي تتغذى منها،وفي مجال العلوم الإجتماعية يتميز مفهوم الهوية الثقافية بغموض وتعدد معانيه، ونظراً لحداثة هذا المفهوم، فقد شهد عدداً من التعاريف وتحولت من مفهوم إلى فكرة في الولايات المتحدة الأمريكية خلال

الخمسينيات والهُويَّةُ في الفلسفة : حقيقةُ الشيءِ أو الشخص التي تميزه عن غيره وهى إحساس الفرد بنفسه وحفاظه على تكامله وقيمته وسلوكيَّاته وأفكاره في مختلف المواقف والْهُويَّةُ الْوَطنِيَّةُ مَعَالِمُهَا وَخَصَائِصُهَا الْمُمَيَّزَةُ وَأصَالَتُهَا وهى الوعي بالذّات الثقافيّة والاجتماعيّة، ولا تعتبر ثابتة، إنّما تتحوّل تبعاً لتحوّل الواقع فهي عبارة عن سماتٍ تميّز شخصاً عن غيره أو مجموعة عن غيرها وهي الخصوصيّة والذّاتيّة وهي ثقافة الفرد ولغته وعقيدته وحضارته وتاريخه وجزء لا يتجزّأ من منشأ الفرد ومكان ولادته حتّى وإن لم يكن أصله من نفس المنشأ وفي اللّغة مشتقّة من الضّمير هو أمّا مصطلح الهوَ فهو المركّب من تكرار كلمة هو، وتمّ وضعه كاسم معرّف بأل ومعناه الاتّحاد بالذّات ويشير مفهوم الهويّة إلى ما يكون به الشيء هو هو،أي من حيث تشخّصه وتحقّقه في ذاته ومحتوى لهذا الضمير في الوقت نفسه ، بما يشمله من قيم وعاداتٍ ومقوّمات تكيّف وعي الجماعة وإرادتها في الوجود والحياة داخل نطاق الحفاظ على كيانها.

ومن مبادئ الهوية أن تكون منسجمة مع معطيات الفكر القانوني والسّياسي، الّذي يستند إلى قانون المواطنة بوصفها معياراً جوهريّاً لتحقيق المساواة وأن تعبّر الهويّة عن الواقع، أي أن تكون انعكاسا لتصوّر فئة ما دون غيرها.

وعن المفهوم الفلسفي للهويّة فالذّات هي ما يسمّيه الفلاسفة بالهويّة؛ فذات الإنسان هي هويّته،وهي كلّ ما يشكّل شخصيّته من مشاعر وأحاسيس وقيم وآراء ومواقف وسلوك؛ وكل ما يميّزه عن غيره من النّاس وقد عرّف أريكسون الهويّة الشخصية،أو الذّات، بأنّها الوعي الذّاتي ذو الأهميّة بالنّسبة للاستمرار الأيديولوجيّ للشخصية، وفلسفة الحياة الّتي يمكن أن توجّه الفرد، وتساعده في الاختيار بين إمكانيّاتٍ متعدّدة، وكذلك توجّه سلوكه الشّخصيّ أمّا هنري تاشفيل، وجون تيرنر الباحثان الإنجليزيّان في علم النّفس الاجتماعي فاستعملا مصطلح الهويّة الشخصية، مقابل الهويّة الاجتماعيّة وكان القصد من مصطلحهما الذّاتيّة، الّتي تعرف الفرد بالمقارنة مع الآخرين.

وسياسات الهوية عبارة عن مجموعة من الحجج السياسية التي تركز على المصلحة الذاتية ووجهات النظر الخاصة بالمجموعات ذات المصلحة الاجتماعية المحددة ذاتيًا، والوسائل التي يمكن عن طريقها تشكيل سياسات الشعوب بواسطة مظاهر هويتهم التي يتم تحديدها عن طريق العرق أو الطبقة أو الدين أو الجنس أو الأيديولوجية أو الولاية أو التوجه الجنسي أو الثقافة أو العملة أو تفضيل المعلومات أو التاريخ أو الأسلوب الأدبي أو الموسيقي أو الظروف الطبية أو المهنة أو الهواية أو أي شيء آخر مرتبط على نحو غير مضبوط ولكن بسيط بالنسبة لإدراك

المنظمات الاجتماعية وليس من الضروري مشاركة كافة الأعضاء من أي مجموعة في سياسات الهوية وربما تكون هذه الممارسة موجودة منذ أمد طويل؛ لكن لم يظهر هذا المصطلح صراحة إلى جانب كافة الحركات المرتبطة به إلا في النصف الثاني من القرن العشرين كذلك يمكن التعرض لهذا المصطلح بطريقة أكثر شيوعًا في الحركات الطبقية والنسائية لكن حيثما وجد هذا المصطلح، فإنه يصبح مجالاً للمناقشة والنقد على نطاق واسع ويعد تأثير الأقلية أحد المكونات الرئيسية لسياسات الهوية فتأثير الأقلية شكل من أشكال التأثير الاجتماعي الذي يحدث عندما يتم التأثير على الأغلبية لقبول معتقدات أو سلوك الأقلية وعلى عكس أشكال التأثير الأخرى،عادةً ما يتضمن هذا النوع من التأثير تغيرًا شخصيًا في الرأي الخاص ويطلق على هذا التغير الشخصي في الرأي تحولاً.

والهوية المكانية تعبير يشير إلى مجموعة من الأفكار حول المكان وهويته في مجالات الجغرافيا والتخطيط العمراني وتصميم العمران والمناظر الطبيعية وعلم النفس البيئي وعلم الاجتماع العمراني وعلم الاجتماع البيئي ويختص هذا المصطلح بمعنى الأماكن وأهميتها للقاطنين فيها ومستخدميها ويطلق على الهوية المكانية في بعض الأحيان الشخصية الحضرية أو شخصية المنطقة السكنية أو الشخصية المحلية.

وقد برزت قضية الهوية المكانية بوصفها إحدى القضايا التي تحظى بالاهتمام في التخطيط والتصميم العمراني خلال ربع القرن الماضي ومع ازدهار الحركة العالمية لحماية المواقع ذات الأهمية الخاصة في التراث، ازدادت المخاوف بشأن فقد الشخصية الفردية والسمات المميزة بين الأماكن المختلفة نظراً للتأثير الذي تتركه العولمة الثقافية عليها.

أما مكونات الهوية فتشمل موقع جغرافي وذاكرة تاريخيّة وطنية مشتركة وثقافة شعبيّة موحّدة وحقوقٌ وواجباتٌ مشتركة واقتصاد مشترك وإذا كانت هذه هي الهوية فهى مهمة وعند المسلمين أكثر أهمية، والإسلام بعقيدته وشريعته وتاريخه وحضارته ولغته هوية مشتركة لكل مسلم، كما أن اللغة التي نتكلم بها ليست مجرد أداة تعبير ووسيلة تخاطب، إنما هي: الفكر والذات والعنوان، بل ولها قداسة المقدس، وأصبحت لسانه بعد أن نزل بها نبأ السماء العظيم، كما أن العقيدة التي نتدين بها ليست مجرد أيديولوجية وإنما هي: العلم الكلي والشامل والمحيط، ووحي السماء، والميزان المستقيم، والحق المعصوم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهي منظومة القيم التي تمثل مرجعنا في السلوك، فهي ليست نسبية ولا مرحلية وقد أدرك الأعداء ذلك فالصليبية والشيوعية والصهيونية اليوم ترى أن استعادة المسلمين لهويتهم الإسلامية وانتمائهم القرآني هو أكبر الأخطار ، ومن

ثم فإن كل قوى التغريب والغزو الثقافي ستطلق في هذا الاتجاه، ويقوم الاستشراق والتنصير بدور كبير كما أن الغرب أحرص ما يكون على هوياتهم، وعلى ذوبان المسلمين المهاجرين في مجتمعاتهم، بل إن هناك مؤسسات ووزارات خاصة للاندماج وتذويب الهويات وأوروبا ترفض تركيا بسبب الهوية ليس إلا، وكما قال الرئيس أوزال سنة 1992م: سجل تركيا بالنسبة لحقوق الإنسان سبب ملفق لعدم قبول طلب انضمامها إلى الاتحاد الأوروبي، السبب الرئيسي هو أننا مسلمون وهم مسيحيون فالقوى الأوروبية تظهر صراحة أنهم لا يريدون دولة إسلامية في الاتحاد الأوروبي، ولا يسعدهم وجود دولة إسلامية أخرى كالبوسنة انها حرب هويات كما يقول هنتجنتون حيث نجد تركيا تعيد تأكيد دورها كحامية للبلقان وتدعم البوسنة،في يوغوسلافيا السابقة،وروسيا تساند الصرب الأرثوذوكسية ،وألمانيا تساعد كرواتيا الكاثوليكية ،والدول الإسلامية تهرع لمساعدة حكومة البوسنة، والصرب يحاربون الكروات ومسلمي البوسنة ومسلمي ألبانيا والهويّة الوطنيّة هي مجموع السّمات والخصائص المشتركة الّتي تميّز أمة أو مجتمع أو وطن معيّن عن غيره، يعتزّ بها وتشكّل جوهر وجوده وشخصيّته المتميّزة .

الهوية العربية الاسلامية:

يكاد يكون من المستحيل فصل الهوية العربية عن الهوية الاسلامية فاللغة العربية هي لغة الاسلام وكتابه المقدس والعرب هم اول من حمل ونشر رايته لذلك نجد أن اسماء المسلمين في الصين أو ماليزيا أو السند أو الهند أسماء عربية ومن يريد أن يصلي عليه ان يتعلم اللغة العربية وان يدرس تاريخ العرب وثقافتهم التي اصبحت جزءاً من ثقافته وحضارته كانت خطيئة الدولة العثمانية القاتلة انها فصلت ما بين العروبة والاسلام فاذا كان يحق لجورج دبليو بوش ومحافظوه الصهاينة أن يعلنوا أن على العالم أن يقبل حضارتهم كلها وأن يكونوا معها وإلا فصواريخ الكروز هي جوابهم فما بالك بحضارة اسلامية عربية تقول : لا فرق بين عربي ولا أعجمي إلا بالتقوى(وتقول إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا) مقابل حضارة عنصرية نتنة.

مفهوم الهوية الإسلامية، وركائزها:

في المجتمعات الإسلامية يعد الدين الإسلامي الهوية الأساسية والرسمية لها، فهو الانتهاء الحقيقي والرمز ومحور حياة المجتمع، من خلالها يتفاعل أفراد المجتمع، وحينما يضعف التمسك بالدين والالتزام به في نفوس الأفراد يظل هو الهوية المفقودة[1] التي نبحث عنها، بحكم أننا

مسلمون أولاً وأخيراً، ولأنه ليس من الممكن أن نختار غير الإسلام هوية ونظل مع ذلك مسلمين، فنحن حينما ابتغينا الإسلام ديناً، فقد ارتضيناه هوية[2] وهوية المسلم تتمثل في حفاظه على دينه، واعتزازه به وتمسكه بتعاليمه والتزامه بمنهجه في صغير الأمور وكبيرها،[3] قال تعالى: (إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ)[4] ،والدين في المنظور الإسلامي هو النظام أو المنهج الذي يحكم جميع جوانب الحياة[5] فالهوية تعني كامل الانتماء بكل أبعاده المادية والمعنوية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية ولا تقتصر على مجرد الانتماء العصبي أو القبلي أو العنصري أو الجغرافي[6] فهي تكامل نفسي فكري ، وانتماء جاء تحقيقاً وتطبيقاً لقول الله تعالى: (صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً)[7] ، فالصبغة هي الهوية، والهوية هي الإسلام[8] والإسلام يصبغ الإنسان بصبغة خاصة في عقيدته وفكره ومشاعره وتصوراته وآماله وأهدافه وسلوكه وأعماله

1-بعض مؤشرات الحفاظ على الهوية، د/ سليمان العقيل مجلة جامعة الملك سعود، المجلد 16، ص243 2- البحث عن هوية تربوية د/ علي مدكور، ص1.7 3- أهمية التعليم في الحفاظ على الهوية الإسلامية- د بدر البدر 4-آل عمران: 19 5-البحث عن هوية تربوية، د/ علي مدكور ص1.7 6- أزمة البحث عن هوية في مواجهة الحضارة الغربية- د/ محمد النبهان . 7 البقرة: 138 8- مرجع سابق -د/ سليمان العقيل ص43

قال القرطبي في تفسيره للآية السابقة: فسمى الدين صبغة استعارة ومجازاً حيث تظهر أعماله وسمته على المتدين، كما يظهر أثر الصبغ في الثوب وبعد أن اتضحت الركيزة الأساس للهوية الإسلامية، تليها هنا في الأهمية ركيزة أخرى، وهي اللغة العربية التي اختارها الله لتحمل رسالة السماء الخالدة، فهي لغة القرآن الكريم، ولسان الإسلام وارتباط اللغة العربية بمصدر الإسلام الأول كتاب الله ، جعل لها صلة وثيقة بالهوية الإسلامية، فهي لغة فكر وعقيدة، ولا يفهم الدين، ولا تدرك مقاصده إلا عن طريقها، فهي طريق فهم القرآن والسنة، فأصبحت بذلك إحدى القربات التي يتقرب بها إلى الله تعالى بتعلمها، وقد قرر بعض العلماء أن تعلمها واجب، فما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

وقد اشتملت اللغة العربية على كافة أصناف البلاغة والسمو اللغوي، وكان العرب قبل الإسلام يتكلمون على السليقة دون لحن، ولكن بعد بزوغ شمس الإسلام وانتشاره في المعمورة، واختلاط الفاتحين بغيرهم من أصحاب البلاد المفتوحة،ظهرت بوادر اللحن واللحن هو النطق خطأ ، الأمر الذي دفع الغيورين على دينهم للمسارعة في وضع قواعد تعصم اللسان من الخطأ أو اللحن في كتاب الله، وتساعد على فهمه، فجُمعت اللغة وتم ضبطها وتحديد ألفاظها، فأدى ذلك إلى ظهور المعاجم اللغوية ونشأة وازدهار علوم اللغة العربية، وظهرت المؤلفات في النحو

والصرف والعروض وبذا أصبحت اللغة العربية أداة مثلى لنشر الفكر الإسلامي،وركيزة مهمة للهوية الإسلامية،التي جمعت بين أجناس وشعوب،ووحدت بينها تحت راية الإسلام والهوية بشكل عام والإسلامية بشكل خاص وهي جماع ثلاث ركائز تتمثل فيما يلي:

أولاً: العقيدة التي توفر رؤية كونية عقيدة التوحيد.

ثانياً: اللسان الذي يجري التعبير فيه هوالعربي الذي اتخذه القرآن لساناً.

ثالثاً: التراث الثقافي ذو المدى الطويل المرتبط بوجود المسلم بفكره وقيمه وعاداته وتقاليده[1] وقد عكف جماعة من العلماء وطلاب العلم على صياغة مفهوم وتعريف خاص بالهوية، والهوية الإسلامية، وقد جاءت بعض تلك التعريفات على النحو التالي:

الهوية هي الآنيَّة والنفس والجوهر، أي الذات بما يلزمها ويلازمها، مما به تتأكد الماهية، وأصلها اللغوي من هو الدال على ما به يكون الشيء، أو أي كائن هو هو وهي هنا ما به تتحقق ذات الإنسان وشخصيته، وما يميزه عن غيرها، فرداً كان أو جماعة[2] وهي حقيقة

1- د/ الاتصال اللغوي بين الشباب المسلم أحمد عبد السلام ص411 2- الإصلاح المنشود -عباس الجراري، ص46

الشيء، أو الشخص، التي تميزه عن غيره، فهي ماهيته، وما يوصف وما يعرف به، من صفات عقلية وجسمية، وخلقية، ونفسية[1] وبدون ذكر الكثير تكاد تجمع التعريفات على أنها هى ذات المميز وحقيقته .

نشأة الانتماء للهوية الاسلامية والاعتزاز بها:

لا يخفى على أحد أن العرب في جاهليتهم كانوا بحال لا يغبطون عليها، فقد توزعتهم الأديان المختلفة، وعددوا الأرباب، وعقلوا عقولهم عن التفكير، واستحبوا العمى على الهدى، فكانت مكة بحق في جاهليتها معقل الوثنية،فقد وجد حول الكعبة يوم أن فتحها المسلمون 36. صنماً.

وحالتهم الاجتماعية لم تكن بأحسن من حالتهم الدينية، فإذا نظرنا إليها وجدناها قرابة مهتوكة الستر،ورحماً مقطعة، وقبائل متنافرة متدابرة يتربص بعضها ببعض الدوائر، تحجرت قلوبهم، ونزعت الرحمة من نفوسهم، وبدأت تفشو في فريق منهم فاشية سوء من قتل الأولاد خشية الإملاق، ووأد البنات أنفة من العار أما من الناحية الاقتصادية لم يكن لهم من الصناعات شيء ذا غناء، وتجارتهم محصورة في المدن وهي قليلة.

---

3 - هويتنا الإسلامية بين التحديات والانطلاق - محمد إسماعيل .

وكان العلم والتعليم عند العرب شيئاً غير مألوف، ومن يعرف القراءة والكتابة منهم أقل من أن يذكر، فكانوا حقاً أمة لا تقرأ ولا تكتب وبلاد العرب قبل الإسلام كانت واقعة تحت الاحتلال الروماني والفارسي والحبشي، وبالرغم من أن دولتي الفرس والرومان كانتا قد بلغتا شأناً عظيماً في الحضارة المدنية، إلا أنهما انحدرتا بسبب عوامل الفساد والاضطراب التي كانت تدب فيهما،خاصة في الناحيتين: الدينية والاجتماعية فكانت هذه الحالة السيئة مدعاة للجميع لأن يتطلعوا إلى مخرج مما هم فيه ومن واد غير ذي زرع بدأ الإسلام يغمر الكون هادياً العالمين، وبدأت أول آياته على محمد الأمين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم:(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْوَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) تتنزل فكان الإسلام هو العامل الوحيد الذي جد على العرب فقوم أخلاقهم، وهذب نفوسهم، ووحد كلمتهم، وأعلى شأنهم، وأعز جانبهم، فأصبحوا بهذا الدين أمة عالمة بعد جهل، ورشيدة بعد غواية، ونابهة بعد خمول.

وتمضي القرون، وتستمر الدعوة الإسلامية، وتعلو المآذن وتنتشر المساجد شرقاً وغرباً، ويدخل أجناس من البشر في دين الله أفواجاً تطبق هذا الدين وتعمل على نشره فتم للمسلمين فتح بلاد فارس كلها وبعض أجزاء الإمبراطورية الرومانية،ورفرفت ألوية المسلمين إبان حكم

الأمويين على رقعة من الأرض تمتد من المحيط الأطلسي غرباً إلى ما وراء حدود الهند والتركستان شرقاً،ثم إلى بلاد القوقاز وأسوار القسطنطينية شمالاً ووجد سكان البلاد التي ساد فيها الإسلام طمأنينة وتسامحاً لم يعهدوه في أزمان حكم عرف فيها الاضطهاد، من أجل هذا لم يبق الإسلام قاصراً على العرب، فازدادت أعداد المنضوين تحت الهوية الإسلامية والمندمجين فيها من الفرس والروم والهند والصين والفضل في هذا عائد إلى عالمية دين هذه الهوية فقد قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍوَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) ، وقال تعالى: (قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا) أما في مجال النهضة العلمية فقد سار التقدم العلمي بخطى سريعة مطردة، وبدأت كنوز المعرفة في البلاد المفتوحة تظهر وتُعرف، وتصل إلى أيدي أمينة تقدر ما تحويه من نفائس، فعرفنا حركة تأليف وترجمة للعلوم الطبيعية بلغت في المجد ذروتها حمل العرب والمسلمون لواءها، فسادت اللغة العربية وأصبحت لغة الدين والعلم والدولة والشعر، وإبان حكم الدولة الأموية ازدهرت البصرة والكوفة كمركزين للثقافة والحضارة ، وتألقت بغداد في العصور الذهبية للدولة العباسية وأصبحت وجهة العلم والأدب،وصب فيها أنهار من الذهب من أرجاء الإمبراطورية المترامية، وفي الأندلس وجنوب إيطاليا وصقلية قامت مراكز علمية

كانت حواضرها منارات علم ومعرفة وكان الفتح الإسلامي وما جاء من بعده من بناء حضاري من أعظم الأسباب التي نبهت شعوب أوروبا إلى ضرورة الأخذ بالأسباب التي أخذ بها المسلمون فبعثوا بعوثهم إلى عواصم العالم الإسلامي، بغية اقتباس العلم، ومعرفة ما لدى المسلمين من نهضة حضارية، ووجدت بعوثهم أن الدين الإسلامي قد دفع المسلمين لاقتباس المعارف، والكشف عن أسرار الكون واتسع احتكاك الأوربيين الثقافي بالمسلمين في الأندلس والقاهرة ودمشق وبغداد ،وسائر العواصم الإسلامية،والمدن الكبرى في العالم الإسلامي، عن طريق التجارات والرحلات وأخذ رجال الفكر والعلم في أوروبا ينهلون من مناهل علوم المسلمين، وصارت الجامعات تتنافس في اقتناء الكتب العربية، وكان فريق من علماء الغرب يصرح بأن معرفة اللغة العربية ضرورة لمن يريد أن يحيط بحقائق العلم وهكذا احتلت الهوية الإسلامية الصدارة في العالم، واستمرت على ذلك ردحاً من الزمن، ثم عاشت الأمة الإسلامية معاناة لم يسبق لها مثيل، أضاعت منها ما تلقفته أوروبا وأقامت ركيزتها عليه فكانت النهضة العلمية والانطلاقة الهائلة للمجتمع الغربي.

معالم هويتنا الاسلامية: إن العنصر الأساس والمُكوّن الأول لهويتنا هو الدين الإسلامي الحنيف،ولابد من الإشارة إلى بعض المعالم الأساسية

التي ترسم الخطوط الكبرى لدين الإسلام، باختصار ومنها : الثوابت والمتغيرات ـ مراعاة مقاصد الشريعة ـ فقه المصالح والمفاسد ـ الوسطية والاعتدال ـ اللغة العربية لسان الهوية.

خصائص الهوية الإسلامية ومقوماتها

لماذا الخوف من الهويَّة الإسلاميَّة، بالرَّغْم من الضَّعف الواضِح الَّذي يَحياه المسلِمون؟ والإجابة عن هذا السؤال تكمُن في اشتِمال هذه الهويَّة على خصائص معيَّنة، جعلتْها قادرةً على صهْر الهويَّات الأخرى في بوتقتِها، في أيِّ حالةٍ، سواء أكانت قويَّة أم ضعيفة ومن أهم هذه الخصائص:

أوَّلاً: هويَّة عقيدة صحيحة صادقة تأبَى الذُّلَّ والخضوع:تعتبر هذه الخاصية هي الأساس الَّذي تقوم عليْه هويَّتنا الإسلاميَّة، فليْس الولاء عندَنا للجِنس ولا للَّون ولا للأرْض، وإنَّما الولاء للإسلام، وليْس معنى هذا أنَّ الإسلام يَمنع حبَّ القوم والوطن، بل يحثُّ عليْه ويرحِّب به وهنا يظهر الفرْق بين حبِّ ذي العقيدة الصَّحيحة لقوْمِه ووطنِه، وحبِّ أدْعياء القوميَّة والوطنيَّة؛ فالمسلم الصَّحيح يعتبر حدود الوطنيَّة بالعقيدة، والقوميُّون والوطنيُّون يعتبرونَها بحدود الأرض والجغرافيَّا وإذا كانت مهمَّة أدْعياء الوطنيَّة والقوميَّة المجرَّدين عن العقيدة يروْن مهمَّتهم عند

حدود تحرير الوطن واسترْداد مجده، فإنَّ أصحاب الهوية الإسلامية يروْن ذلك بعض الطَّريق أو مرحلة من مراحله، ويبقى عليهم بعد ذلك أن يعملوا لتُرفع راية الوطن الإسلامي على كلِّ بقاع الأرض، ويخفق لواء المصحف في كلِّ مكان ولعلَّ هذا الجمع بين الولاء للعقيدة والانتِماء والحب للقوم والوطن، يعدُّ من البدائع التي وفَّق بها الإسلام بين أمرَين قد يبدوان مُتناقِضَين:

الأمر الأوَّل: إذابة كلِّ الأعراق والأجناس والانتِماءات في رسالة واحدة، وهي الإسلام.

الأمر الثاني: عدَم إلغاء انتِماء الأفراد والجماعات للقبائِل والأجناس واللغات، فهذا عربي وهذا هندي، لهم لغاتُهم وأصولهم، ولكن كل ذلك في إطار الإسلام والتفاضل بالتقوى.

وكونها عقيدة صادقة جعلها تغرس في نفوس أبنائِها حبَّ الجهاد والشِّهادة، والاستِعلاء على الخضوع للغُزاة المحتلِّين، ويُعتبر هذا الأمر من أخْوف ما يَخافه الأعْداء؛ لذا نجِدُهم دائمًا حريصين على تغْيير مسار الثَّورات في عالمِنا الإسلامي من اتِّجاهها الإسلامي إلى اتِّجاهات قوميَّة أو وطنيَّة؛ وما ذلك إلاَّ لعلم المحتل أنَّه لا يستطيع احتِواء المسلمِّين؛ لأنَّ الأمر عندهم لا يعْدو أحد غايتين: النَّصر أو الشهادة، أمَّا القوميُّون

والوطنيُّون فيمكن احتواؤُهم بشيء من الوعود الكاذبة أو المعاهدات الخادعة ولعلَّ هذا الكلام يذكِّرنا بثورة القاهرة 1919م ضدَّ الاحتِلال، فلمَّا وجد الإنجليز الثورة تخرُج من الأزهر، أدْركوا أنَّها ثورة إسلاميَّة ولا طاقة لهم بها؛فأسْرعوا بالاستِجابة لطلب اللورد اللنبي المندوب السَّامي في مصر، حينما قال: إنَّ الثورة تنبع من الأزهر، وهذا أمر له خطورته البالغة وطلب منهم الإفراج عن سعد زغلول وإرجاعه إلى القاهرة، وكان سعد زغلول مسيطرًا على الرأي العام، فاستطاع وقْف الثَّورة على أساس التفاوُض مع الإنجليز، ولمَّا فشلت المفاوضات قال كلمتَيْه الشَّهيرتَين: خسرنا المعاهدة وكسبْنا صداقة الإنجليز والإنجليز خصوم شرفاء معقولون بذلك هدأت الجماهير على يد قوَّادها القوميين، وهذا المغنم ما كان يَحصل عليه الغزاة من قادةٍ مسلمِّين أصحاب عقيدة راسخة، وحرص صادق على إحدى الحسنَيَين يقول الشَّيخ سيد قطب رحِمه الله -: إنَّ خطر القوَّة الكامنة في العقيدة على الاحتلال ينبُع أوَّلاً من أنَّ الإسلام قوَّة تحريريَّة هائلة، وروحه تأبَى كلَّ اعتداء على الحرية، وتقاوم هذا الاعتداء بصلابة، تقاومه مقاومة إيجابيَّة تهون في سبيلها الأرْواح، ويهون فيها البذل والتَّضحية، فإذا ما استيقظت روح الإسلام في أمَّة، فمن المحال أن تتخلَّى عن حرِّيَّتها، ومن المحال أن تسكت عن الصراع الإيجابي الذي يحطِّم قواعد الاحتلال تحطيماً كذلك ينبع الخطر على

الاحتِلال في العقيدة الإسلامية من أنَّها: عقيدة استعلاء واعتزاز وكبرياء؛ فالمسلم حين تستيقظ فيه روح الإسلام، لا يُطيق أن يعلو عليه أحد، ولا يُطيق أن يذلَّ لأحد، ومن ثم ينظر إلى الاحتلال الأجنبي نظرتَه إلى المنكر الذي تتحتَّم إزالته، ويتحتَّم كفاحه؛ تحقيقًا لعزَّة الإسلام، وصيانة لكرامة المسلمين، وابتغاءً لمرضاة الله وهناك منبع ثالث للخطر على الاحتلال من العقيدة الإسلامية: أنَّها عقيدة تجعل من الوطن الإسلامي كلِّه وحدةً، من اعتدى على شبر منهم فقدِ اعتدى عليهم جميعًا، ويتحتَّم على كلِّ مسلم في أطراف الأرض كلِّها أن يُعْلِن الجهاد لردِّ الخطر عن ذلك الشبر الواحد من تلك الرقعة الإسلاميَّة العريضة .

ثانيًا: شمولها وملاءمتها لجوانب الإنسان وأطوار حياتِه:

تعدُّ هذه الخاصية من أعظم الخصائص التي تميَّزت بها الهوية الإسلامية، وكانت سببًا في إذابتها لكثير من الهويَّات في بوتقتها، لقدِ ارتفعت بعض الهويات في فترات زمنيَّة طويلة أو قصيرة لكنَّها كانت ترتكز في ارتِفاعها على الحديد والنَّار كوسيلة للقضاء على كلِّ هويَّة تعترض طريقها أمَّا الهويَّة الإسلاميَّة، فإنَّها في سعْيها للارتفاع تسعى لفتْح الإنسان عبر متطلَّبات فطرته الشموليَّة، وإذا تمَّ فتح الإنسان باقتِناع عقله وانفِتاح قلبه،استسلم الحديد والنَّار تلقائيًّا بإسْلام حامِلِهما.

إنَّ الواقع الأليم والتِّيه الذي تَحياه البشريَّة لا يمكن الخلاص منه، والعالم يرفض الإسْلام ويلتمس الشِّفاء من مواضع الدَّاء يقول الأستاذ وحيد الدِّين خان: إنَّ دراسة العالم المعاصر تدلُّنا على أنَّ فيضان النَّهضة المادِّيَّة قد وصل إلى آخر مداه، وأنَّها غير قادرة على إعْطاء السَّكينة لقلْب الإنسان، إنَّ موجةً من انعِدام الثِّقة والطمأنينة النفسيَّة تغْزو العالم، إنَّ الدين ينهض اليوم من جديد في روسيا، بعد نصف قرن من القهر، وحركات الشباب الفوضويَّة في الغرب نتاج لانعِدام الطمأنينة، ويُطْلِق شباب اليابان اسم ثقافة التجارة على ثقافتهم التي لا توافق سوى جزءٍ من حاجات الوجود البشري فداء القلق وانعدام الثِّقة غزا الجيل الجديد في العالم كلّه، إنَّ هذه الأحوال تُتيح فرصة ذهبيَّة لحاملي دين الفطرة لإرْواء عطش العالَم ولإظهار دين الله[1] نعم، إنَّ الواقع الغربي وما فيه من خواء رُوحي زاد من نسب الانتِحار مع توفُّر المتع والملَّذات والشهوات، وهذا خير دليلٍ على مدى احتِياج البشريَّة إلى هذا الدين .

ثالثًا: هوية حيويَّة قادرة على إخضاع الهويَّات الأخرى:وهي من الخصائص التي تَجعل أعداء الإسلام يخافون أشدَّ الخوف من الهوية

1- الإسلام والعصر الحديث، وحيد الدين خان، ص 51 .

الإسلاميَّة، وكدليلٍ على مدى هذا الخوْف قولَ نيكسون رئيس أمريكا سابقًا:إنَّنا لا نخشى الضَّربة النوويَّة،لكن نخشى الإسْلام والحرب العقائديَّة الَّتي قد تقْضي على الهويَّة الذاتيَّة للغرب ولقد تحدَّث علماء الغرْب عن حيويَّة الإسلام وقدرته على استِيعاب أطوار الحياة، وقدرته كذلك على توليد أفكار جديدة، ومن هؤلاء العلماء هوكنج أستاذ الفلسفة

في جامعة هارفارد، حيث يقول في كتابه روح السياسة العالميَّة: أحيانًا يتساءل البعض، عمَّا إذا كان نظام الإسلام يستطيع توْليد أفكار جديدة، وإصدار أحكام مستقلَّة تتَّفق وما تتطلَّبه الحياة العصريَّة، فالجواب عن هذه المسألة: هو أنَّ في نظام الإسلام كلَّ استعداد داخلي للنموّ، بل إنَّه من حيث قابليَّته للتطوُّر يفضل كثيرًا من النظم المماثلة والكاتب الأيرلندي برنارد شو يتحدَّث عن حيويَّة الإسلام، واستيعابه أطوار الحياة المختلفة، فيقول: الإسلام هو الدِّين الوحيد الَّذي يمتلك القُدْرة على استيعاب أطوار الحياة المختلفة في كلِّ العصور ولورنس براون يقول: لقد كنَّا نخوف بشعوب مختلفة، ولكنَّنا بعد اختِبار لم نجد مبرِّرًا لمثل هذه المخاوف، لقد كنَّا نخوف من قبل بالخطر اليهودي، والأصْفر، والبلشفي، إلاَّ أنَّ هذا التخوُّف كله لم يتَّفق كما تخيَّلناه، إنَّنا وجدنا اليهود أصدِقاء لنا، ورأيْنا أنَّ البلاشفة حلفاء لنا، أمَّا الشعوب الصفر فهناك دول ديمقراطيَّة كبرى تقاومها، لكنَّ الخطر الحقيقيَّ كامن في نظام الإسلام

وفي قدرَّته على التوسع والإخضاع، وفي حيويَّته، إنَّه الجدار الوحيد في وجه الاحتلال الأوربي.

مقومات الهوية الإسلامية : وللهوية الإسلامية أثر في تشكيل ثقافة الفرد وصناعة أفراد يعتزون بأمتهم وتاريخهم العريق المجيد، وخير مثال على ذلك ما فوجئت به فرنسا بعد أكثر من قرن من عمليات الإبادة والقهر والتخويف بأن مجموعة من الأفراد تقاطروا في إحدى المدن الجزائرية حيث خرجوا إلى الشوارع يرفعون شعار الجزائر تعود لك يا محمد،وتحدَّث الباحثون أنَّ أهم انجازات ثورة الجزائر أنها أوضحت لفرنسا ولكل العالم أن الهوية الإسلامية لا يمكن ان تنتزع من نفوس آمنت بالله، وذاقت حلاوة الإيمان فالهوية الإسلامية لها عظيم الأثر في تشكيل الثقافة الإسلامية لدى الفرد المسلم حيث يوقن نَّه مسلم عزيز بإيمانه ومستقل به عن الآخرين ، فيتمسك بإسلامه ودينه ويحافظ عليه، ويوالي ويعادي من خلال عقيدته وهويته ويدرك انَّ جميع أبناء المسلمين إخوة له في العقيدة والهوية،والذي كان يعيش فترة العز في العالم الإسلامي كان أمة واحدة تظله راية لا إله إلا الله محمد رسول الله وكان المسلم يخرج من طنجة حتى يصل بغداد لا يحمل معه جنسية أو هويّة وطنية، إنما يحمل شعاراً إسلامياً هو التوحيد، فكلما حل أرضاً وجد فيها له أخوة في الإيمان وإن كانت الألسنة مختلفة والألوان متباينة

لأن الإسلام أذاب كل تلك الفوارق واعتبرها من شعارات الجاهلية حينها يدرك الفرد المسلم أنَّه بقدر تقربنا لأعداء عقيدتنا وديننا وحضارتنا الإسلامية، ينعكس ذلك عليهم بمزيد من الكراهية والحقد الدفين، كما قال تعالى: ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ، وبقدر ما يأخذ المسلم من هويات الآخرين القبيحة يؤثر ذلك سلباً على عقيدته وفكره وتحركاته وتوجهاته،كما قال الإمام ابن تيمية: من شأن الجسد إذا كان جائعاً فأخذ من طعام حاجته استغنى عن طعام آخر، حتى لا يأكله إن أكل منه إلا بكراهة وتجشّم، وربما ضرّه أكْله، أو لم ينتفع به، ولم يكن هو المغذي له الذي يقيم بدنه، فالعبد إذا أخذ من غير الأعمال المشروعة بعض حاجته، قلّت رغبته في المشروع وانتفاعه به، بقدر ما اعتاض من غيره بخلاف من صرف نهمته وهمته إلى المشروع؛ فإنه تعظم محبته له ومنفعته به، ويتم دينه، ويكمل إسلامه لهذا أدرك أعداؤنا مدى ضرورة فتح المدارس الأجنبية في البلاد الإسلامية لعملية بث عقائدهم المناقضة لدين الإسلام، حتى ولو كان في تلك المدارس بعض الأدبيات والمناهج الإسلامية،لكن البيئة الخاصة بها والموجهين والمعلمين والسياق العام فيها يخالف ما يتبناه الإسلام من صناعة فرد مسلم متكامل النسيج الديني والأخلاقي، فنجد أنَّ الحاكم العسكري في مصر : كرومر

في عهد الاحتلال البريطاني لمصر كان يؤكد على ضرورة فتح مدارس تغريبية وأهميته في إفساد عقائد المسلمين فأبناء مدرسة فيكتوريا سيكونون جسراً بين الثقافة الإسلامية والثقافة الأجنبية سيكون هؤلاء أتباعاً للغرب ينادون بالهوية الغربية ويحاربون الإسلام والمسلمين لهذا كان للتعليم دور رئيس وعظيم ومهم وخطير في لمحافظة على الهوية الإسلامية وصيانتها ورعايتها وعن أبرز مقومات الهوية الإسلامية، فهي كما يلي:

1- الاعتزاز العام بالهوية الإسلامية وبهذا الدين الذي يحمله معتنقوه والمجاهرة به ونشره في الآفاق.

2- صناعة المنظمات والمؤسسات المعنية بالمحافظة على الهوية الإسلامية والدفاع عنها ، وتصحيح الصورة النمطية المسيئة في أذهان الكثير من الكفار سواء في الشرق أو في الغرب عن نظرتهم للإسلام وتجلية صورة الإسلام بصفته السمحة النقية الخالدة.

3- إبراز شهادات الغرب والشرق المنصفة والمحايدة التي تدلل على عظمة هذا الدين وصلاحيته لكل زمان ومكان واستيعابه لجميع الأمور الدنيوية.

4- مجادلة ومناقشة المتشككين بدينهم والرد عليهم، وإبراز مصادر الخلل في التلقي والاستدلال عندهم وعلى رأسهم المنتسبين لليبرالية لأنَّهم أكثر الناس انتشاراً وخصوصا في وسائل الإعلام.

obeikandl.com